African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 3, Issue 3, July - September 2024, Page No: 142-153
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2023: 1.25 SJIFactor 2023: 5.58 ISI 2022-2023: 0.510

نظرية الانفجار العظيم في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

د. قمر مفتاح الرويمي*
قسم الفلسفة وعلم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم/مسلاتة، جامعة المرقب، ليبيا

The Big Bang Theory in Modern and Contemporary Philosophy

Dr. Qamar Muftah Al-Ruwaimi*
Department of Philosophy and Sociology, Faculty of Arts and Sciences/ Msallata, Elmergib University, Libya

*Corresponding author qmalruwaymi@elmergib.edu.ly *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2024-07-01 **تاريخ القبول:** 2024-08-19 **تاريخ النشر:** 2024-09-03

الملخص
تهدف الدراسة إلى محاولة الإلمام بنظرية فلكية حديثة لها علاقة بنشأة الكون وتطوره وهي نظرية (الانفجار العظيم)، والتي تعتبر هي السائدة للفلسفة الحديثة حول تفسير البداية الكونية، كما تهدف الدراسة إلى بيان أن الانفجار العظيم كنظرية فلكية قد يُقبل، وكنظرية فيزيائية قد يُرد، فبالانفجار يبدأ الزمان والمكان، والفيزياء الحديثة لا ترى وجود زمان قبل الانفجار العظيم. وقد استخدم في هذا البحث المنهج التاريخي، بالإضافة إلى المنهج التحليلي للأفكار المعروضة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن بعض الفلاسفة المحدثين والمعاصرين أنكروا وجود دليل علمي يقيني على الانفجار العظيم؛ لأنها غير خاضعة لتفصيلات مؤكدة حول حقيقتها وكيفيتها، وبناءاً عليه يبقى أمر نشأة الكون وبدايته محكومٌ بأمر الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الانفجار العظيم، الزمان، المكان، التمدد الكوني.

Abstract
The study aims to attempt to comprehend a modern astronomical theory related to the origin and evolution of the universe, which is called "the Big Bang theory", which is widely accepted in modern philosophy regarding the explanation of the cosmic beginning. The study also aims to demonstrate that the Big Bang, as an astronomical theory, may be accepted, but as a physical theory, it might be refuted. According to the Big Bang, both time and space commence, and modern physics does not recognize the existence of time before the Big Bang. This research employes the historical method in addition to the analytical method for the ideas presented. The study reaches several conclusions, the most significant of which is that some modern and contemporary philosophers deny the existence of definitive scientific proof of the Big Bang as it is not subject to conclusive details about its reality and nature. Consequently, the matter of the origin and beginning of the universe remains governed by the will of Almighty God.

Keywords: Big Bang, Time, Space, Cosmic Expansion.

المقدمة

عاش الإنسان فترة من الزمن يستمع إلى الأساطير ثم ينقلها، وتحلو له الخرافات فيستردها ويرويها كأنه هو المنتج لها، حتى إذا بدأت عملية النضج في الفكر الإنساني اتخذت أشكالاً أخرى تعتمد على التفكير العقلي

المنظم والفلسفة التجريبية تارةً أخرى، ثم جاءت الفلسفة الحديثة لتترك الخرافات والأساطير وتعتبر هذا السلوك غير سليم، ثم يعلن قادتها تخليهم عن هذه النصوص التراثية وإسقاطها من مكانتها التي احتلتها فترة من الزمان وبخاصةٍ عندما ظهرت الآلة في أوروبا وصار الحديث عن المنتج الآلي هو السيد الذي لا يقاوم في الفكر الإنساني، فتم اختراع تلسكوبات فلكية حتى تطور علم الفلك، وظهرت نظريات علمية تجيب عن تساؤلات قديمة متعلقة بالكون، وبناءً عليه سوف أحاول في هذا البحث الإلمام بنظرية فلكية حديثة لها علاقة بنشأة الكون وتطوره وهي (نظرية الانفجار العظيم) التي تعتبر هي السائدة للفلسفة الحديثة حول تفسير البداية الكونية، حيث تعتمد فكرة النظرية على البداية التي بدأ بها الكون، وتفسر علاقة مواد الكون ببعضها البعض، وتطور الكون منذ اللحظة الأولى لنشأته، إذ بالانفجار يبدأ الزمان والمكان، والفيزياء الحديثة لا ترى وجود زمان قبل الانفجار العظيم.

وتعد هذه النظرية قاسم مشترك بين الفلسفة الحديثة والمعاصرة من ناحية البحث والمنهج، وفي ذات الوقت مازالت أصداؤها تتردد بين الحين والآخر، كما أن الفلكيون والفيزيائيون من الفلاسفة الماديين وغيرهم اعتنقوها حتى صارت قاسماً مشتركاً في الفكر الإسلامي، وسوف أتناول في هذا البحث ما يلي:

أولاً/ أسباب اختيار الموضوع

تدور أسباب اختيار الموضوع في أمرين:

أ. الأسباب الذاتية (الداخلية)[1] **ومن أبرزها:**

1. أن قضايا الفلسفة الحديثة تثير مشكلاتٍ بحثية بين المشتغلين بها، يستوي في ذلك المقرون لها والمنكرون، وأنا بطبيعتي أميل إلى هذه التساؤلات وأجد نفسي عندما يطرح الفكر على عقلي مشكلة تتطلب حلولاً لها.
2. أن عمليات التفكير العقلي المنظم قد وقفت منها الفلسفة الحديثة والمعاصرة موقفاً يتسم بالحيدة والموضوعية، وهذا في حد ذاته مما أجد له طريقاً في عقلي الباطن.

ب. الأسباب الموضوعية (الخارجية)[2] **ومنها:**

1. الشغف الذي يعتري الباحثين بقضايا الفلسفة الحديثة والمعاصرة والذي استحوذ على عقول كثيرٍ منهم إلى حد السيطرة، بل صار أكثرهم يردد قضاياها كأنها وحيٌ عزف لحن الفكر القديم والمعاصر معاً.
2. أن الفكر الحديث والمعاصر وهو يقدم أطروحاته للعقل لا يقدمها من منطق علوي فيهبط إلى العقل رغماً عنه، بل يقدمها من خلال فهم تصاعدي يبدأ من أدنى ثم ينتهي إلى الأعلى متجاوزاً حقب الزمان المختلفة، ومن أبرز مظاهر ذلك فكرة الزمكان التي جمعت بين موضوعي الزمان والمكان في كلمةٍ واحدة تحمل الطريقة الاستكشافية.

ثانياً/ منهج الدراسة

سأستخدم في هذا البحث عدة مناهج منها:

1. المنهج التاريخي الاسترادادي وهو الذي يعتمد على انتزاع الأفكار من الماضي البعيد وتقديمها إلى الفكر المعاصر قرباناً للعلم والفضيلة.
2. المنهج التحليلي حيث أتناول الفكرة المعروضة بتحليلها إلى أجزائها من خلال استعمال عبارات العرض والمناقشة.
3. منهج المتابعة حيث سأعرض أجزاء القضية محل الدراسة ثم أناقشها دفعةً واحدة.

ثالثاً/ الأهداف والغايات: ـ

1. أن الانفجار كنظرية فلكية قد يُقبل، وكنظرية فيزيائية قد يُرد، أما الغاية فهي التأكيد على أن الفكر الإنساني يدور أمره بين الصواب والخطأ، وليس انتقالاً من الشخصانية إلى القداسة.

([1]) الأسباب الذاتية هي التي تتعلق بالباحث نفسه وليس بالبحث، وتدور رحاها في أمور متعددة.

([2]) الأسباب الخارجية تمارس نوعاً من الضغط على ثقافة الباحث، فتحاول أن تجد لها متنفساً على عقله الواعي، وبناءً عليه يجد غايته في الموضوع الذي يتعرض له أو يتناوله.

2. أن ما تقدمه نظرية الانفجار العظيم في المعطى المعرفي يمثل حركة للعقل، أما الغاية فهي بيان أن المقدمات التي سعت لها النظرية قد تكون مقبولة، أما النتائج فالحكم فيها لأصحاب النظرية أنفسهم من المنكرين لها والمعترضين عليها، وقد قدموا بشأنها إشكالات متنوعة دار أمرها بين الفلك حيناً والفيزياء حيناً أخر.

رابعاً/ تساؤلات البحث:-

من أبرز الإشكاليات التي سأحاول الإجابة عليها في هذا البحث ما يلي:

1. هل الانفجار العظيم عبث فوضوي أم موضوع فيزيائي؟ وهل يتكرر موضوعه فلكياً فيكون جامعاً بين الفيزياء والفلك في ثوب واحد.
2. هل للانفجار العظيم تاريخ وقع فيه؟ وما هي الطبيعة الفاصلة بين مراتب هذا الانفجار؟ وهل هو انفجار واحد أم متكرر؟
3. هل يعتبر بداية الانفجار كنشأته أم أن البداية تختلف عن النشأة فيكون أحدهما مكملاً للآخر؟
4. ماذا يقول البحث بلسان مفرداته هل أجاب على تساؤلاته أم لا؟

قطعاً أجاب إن لم يكن في المقدمات كان في النتائج بجانب التوصيات.

خامساً/ مكونات الدراسة:-

يتكون هذا البحث بعد المقدمة من ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول/ تحديد وتحرير المفاهيم: الفلسفة الحديثة، الفلسفة المعاصرة، النظرية، الانفجار العظيم، تعقيب.

المبحث الثاني/موضوع الانفجار العظيم.

المبحث الثالث/ تاريخ الانفجار العظيم وطبيعته.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج /أبرز التوصيات/ أهم المقترحات.

وأخيراً أهم المصادر والمراجع في حدود ما تسمح به ذات الدراسة.

المبحث الأول/ تحديد وتحرير المفاهيم:-

أ. مفهوم الفلسفة الحديثة:

1. تعريف ليبنتز: عرف الفلسفة الحديثة بأنها البحث في الطبيعة والإنسان بقصد إبراز مكانته ومدى سيطرته على الطبيعة وما فيها من أسرار[3]. وبناءً عليه يكون تعريف الفلسفة الحديثة ذات استقلال نوعي عن الفلسفات الأخرى، وإذا تمايزت الفلسفات بان أن كلاً منها تعبر عن مضمون بذاته.
2. عرفها الدكتور زكي نجيب محمود بقوله « الفلسفة الحديثة هي فهم نتائج وظواهر الطبيعة بالرجوع إلى أسبابها من حيث أن هذه الأسباب هي نفسها مما يستنبط من النتائج التي تقع تحت ملاحظاتنا استنباطاً صحيحاً»[4].

لقد عُرفت الفلسفة الحديثة لدى المعاصرين بأنها محاولة للإجابة على الأسئلة المتعلقة بالوجود، والكون، والتأمل، والتفكير بكل ما يمكن أن يدور داخل العقل وهو التفكير في التفكير[5].

ب. مفهوم الفلسفة المعاصرة: وقد ظهرت لها عدة تعريفات من أبرزها:

1. ما نقله جيمس جنز بقوله عن الفلسفة المعاصرة أنها تبحث في أصل الكون وعلته وحقيقته، لأن العلم الطبيعي يكتفي بدراسة المظاهر الطبيعية للمادة من غير أن يفكر في أصلها وعلة وجودها[6].

([3]) جوتفريد فيلهم ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، ت: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1983م، ص10.

([4]) زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1998م، ص89.

([5]) عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، دار الطباعة القومية، القاهرة، 1966م، ص12.

([6]) جيمس جنز، الفيزياء والفلسفة، ت: جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص35 — 36.

2. كما عُرفت الفلسفة المعاصرة بأنها الناتج العقلي العلمي في توجهاته الفكرية وبخاصةٍ تلك التي تبحث في كنه المادة وأصلها وعلة وجودها، وكنه المكان والزمان، وكنه العقل وحقيقته ومبلغه من السلامة، بجانب القدرة على إدراك الحقيقة التي تربط بين العقل والمعقول في آنٍ واحد[7].

والفرق بين الفلسفتين يظهر في أن الفلسفة الحديثة ابتدأت من القرن الثالث عشر الميلادي على يد روجر بيكون في أوروبا، بينما ظهرت الفلسفة المعاصرة في القرن العشرين على يد وليم جيمس وزملائه، وهذا الفارق ضروري بجانب الموضوعات التي تعالجها كلٌ منهما.

ج. مفهوم النظرية: عُرفت النظرية بعدة تعريفات منها:-

1. ما ذكره وليم شانر حيث يقول «النظرية العلمية تصريح يسعى للتوليف بين مجموعة من الأدلة والملاحظات العلمية حول ظاهرة بعينها في سياق عام يفسرها»[8]، ومن المؤكد هنا أن النظرية لا تكون قانوناً طالما أنها قابلة للاختبار.

2. ما نبه إليه جورج شتراوس بقوله « النظرية العلمية هي وضع فرضية معينة بعد ملاحظة ظاهرة بذاتها، واختبار فرضيتها بغرض الرغبة في الوصول إلى دليل يدعم تلك الفرضية»[9].

3. تعريف باتريك هيلي حيث يقرر أن النظرية هي اتجاه علمي يقوم على توظيف نماذج رياضية واستخراج قوانين تهدف إلى تفسير الظواهر العلمية تفسيراً مقبولاً[10].

من جملة التعريفات السابقة تبين أن النظرية لا تعتبر قانوناً، أما لماذا؛ فلأنها مجموعة تنبؤات وتفسيراتها ميكانيكية لجملة من المعبرات، يستوي في ذلك الفلكية والفيزيائية.

غير خافٍ أن هذه التعريفات الاصطلاحية يمكنني أن ألتقط من الجانب الفيزيائي تعريفاً ذكره جيمس جنز حيث قال « النظرية تفسير ميكانيكي يضمن جسيمات الكون المتحركة في المكان والزمان، وإن كانت حركتها محكومة بعوامل تتحرك في المكان والزمان»[11]، وسألتقط من الجانب الكيميائي تعريفاً ذكره بيتر كونزمان بقوله « النظرية ناتج دراسة لمكونات الطبيعة بالاعتماد على مجموعة من الملاحظات والدراسات المحتوية على أبحاث واكتشافات كيميائية من خلال منهج علمي يؤدي إلى نتائج صحيحة»[12].

ولا يخفى أنه من الضروري التقاط تعريف فلكي ليتم عملية التعريف على ناحية صحيحة، فيذكر برايان غرين أن النظرية الفلكية عبارة عن نتيجة لجمع أجزاء فرع جديد من الفيزياء والرياضيات تكشف بالفعل عن الكثير من الخواص الهندسية الجديدة للزمكان[13].

ومن المهم أن نذكر رأي كليف كيلمستر وهو يتحدث عن النظرية الفلكية قائلاً « إنها وصف يعتمد على التخمين دون الإشارة إلى الأسباب الكامنة وراء التقديرات العددية، وقد أغلب هذه التقديرات بما يشمل المعرفة العميقة بثوابت الفيزياء الذرية»[14].

مما سلف تبين أن مفهوم النظرية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة يختلف في صورته وصيغته البنائية بين علوم الفلك وعلوم الفيزياء وعلوم غيرهما، ومرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة كلٍ منهما، إذ المعلوم أن الفيزياء غير الفلك وغير الفلسفة أيضاً، وهذه الغيرية تعطي المساحة للباحث المعرفي في الحكم عليها وبيان ما إذا كان الوارد عنها مقبولاً أم غير مقبول من الناحية الموضوعية.

د. مفهوم الانفجار العظيم: يعتبر مفهوم الانفجار العظيم من المفاهيم التي يتم التعامل معها بشكل أساسي، ولذا فقد عُرف بتعريفات من أبرزها:-

1. أن الانفجار هو عبارة عن انبعاث شديد يحدث في الأشياء كلما زادت شدة اتساعه، فتتولد عنه إضاءة يترتب عليها انشقاق يصعب السيطرة عليه بسبب شدته[15].

([7]) وليم بارتلي، الفلسفة المعاصرة أصول وأدوات، ت: ناهد فوزي، طبعة بيروت، 1995م، ص135- 136.

([8]) وليم شانر، الطريق إلى التفكير المنطقي، ت: عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م، ص9.

([9]) جورج شتراوس، مناهج التفكير العلمي: النظرية والتطبيق، ت: فوزية حسن الطويل، طبعة بيروت، ص33.

([10]) باتريك هيلي، صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، ت: نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط:1، 2008م، ص10.

([11]) جيمس جنز، مرجع سبق ذكره، ص29.

([12]) بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، ت: جورج كتوره، المكتبة الشرقية، 1991م، ص101.

([13]) برايان غرين، الكون الأنيق: البحث عن النظرية النهائية، ت: فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط:1، 2005م، ص258.

([14]) كليف كيلمستر، طبيعة الكون، ت: محمد بشار حكمت، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1991م، ص185.

([15]) محمد الغزالي، موقف الفلسفة المادية الحديثة من بداية الكون، طبعة القاهرة، 1995م، ص115 - 116.

2. ويمكن تعريف الانفجار العظيم في اصطلاح الفلاسفة المحدثين بأنه الذي ضم كل الطاقة الموجودة بالكون[16].

3. وذهب ستيفن وينبرغ إلى أن الانفجار العظيم هو الانطلاقة الكبرى لبداية الكون، حيث امتد فشمل حجماً متزايداً من الهواء المحيط به، وهو انفجار حدث في مكانٍ وآنٍ واحد حتى ملأ الفضاء كله منذ البدء وهرب كل جسيم عن كل ما عداه[17]. ومن الواضح أن هذا التعريف ركز على نقطة البداية للانفجار، ثم انتقل إلى مكان هذا الانفجار وبين أنه شمل الكون كله، بجانب الآنية الزمانية التي وقع فيها هذا الانفجار.

4. وذهب ستيفن هوكينغ إلى أن الانفجار العظيم هو« بداية الزمان وليس من الضرورة أن تكون بداية فيزيائية، فيمكن للمرء أن يتصور أن الكون قد خلق بالمعنى الحرفي في أي وقتٍ من الماضي، ولا يزال المرء يستطيع أن يتصور أن الكون قد خلق لحظة الانفجار العظيم أو حتى بعدها»[18]، ويتضح من هذا التعريف أن ستيفن لم يكن لديه دليل علمي على الانفجار، حيث ركز على التصور، والتصور يطرأ للذهن عند حلول فكرة معينة، ولا يكون واقعاً إلا إذا أُيدت هذه الفكرة بالأدلة القاطعة؛ لذا قسم العلماء العلم إلى تصور وتصديق.

5. غير أن هويمارفون يعتقد أن الانفجار العظيم هو عبارة عن « انفجار هائل حدث على الأرجح قبل 13 مليار سنة، وهو انفجار هائل لدرجة أن العلماء لا يزالون يستطيعون سماع صداه»[19]، من المؤكد أن هذا الاصطلاح الذي ترتب عليه تعريف الانفجار العظيم هو الذي استقر لدى كثيرٍ من علماء الفيزياء والفلك على النحو الذي سلف.

من خلال ما سبق تبين لي أن مفهوم الانفجار العظيم لدى الفلاسفة المحدثين يركز على تفسير نشوء الكون وإيجاده، وخروجه من العدم إلى الوجود، ويبقى هناك قاسماً مشتركاً بين تلك التعريفات وهو: أن الكون كان بكل جزئياته كتلة واحدة بداخلها طاقة هائلة، ونتيجة اختفاء حرارتها وشدة كثافتها انفجرت لتصل بكوننا إلى ما هو عليه الآن، ووفقاً لمفهوم هذه النظرية عند الفلاسفة المحدثين فإن الكون بدء بحالة فائقة من الكثافة والسخونة، ولا يزال يتمدد ويبرد منذ ذلك الحين.

وبالمقارنة أيضاً بين تلك التعريفات الاصطلاحية تظهر جوانب كثيرة مردها إلى طبيعة البحث المعرفي واستقلالها في بعض أحوالها واختلافها في البعض الآخر، وهذا مما تتبناه النظرية العلمية في كلٍ من الفيزياء، والميكروفيزياء، والقوانين الفلكية، بجانب كلٍ من الميكانيكا والديناميكا الحوارية، على أساس أن الانفجار العظيم هو الناتج عنه الكون الذي نعيش فيه، ولولاه ما كان هناك كون وما كنا نعيش.

المبحث الثاني/ موضوع الانفجار العظيم:-

يبحث موضوع الانفجار في أجزاء الكون من ناحية بدايتها، ونشأتها وتكوينها، ويعتقد الفلكيون والفيزيائيون أن نظرية الانفجار العظيم تتناول قضية بدء الخلق الكوني وما يترتب عليها، وبناءً عليه يكون الموضوع الأول للانفجار العظيم هو بداية الكون ونشأته، يقول روبين كيرود إن الموضوع الأول لدى الفلاسفة المحدثين والمعاصرين يتمثل في كيفية نشأة الكون، ثم ينتهي إلى القول بأن « الكون خرج إلى الوجود بعد الانفجار العظيم مثلما خرج الطفل الوليد لحظة ولادته إلى الدنيا، وبالتالي أدى هذا الانفجار إلى نشأة الكون»[20].

أولاً: بداية الكون (التمدد الكوني): مادام موضوع الانفجار العظيم هو بداية الكون، فقد بات من الضروري التركيز على تلك البداية في كلٍ من الفلسفة الحديثة والمعاصرة، فيذهب ستيفن وينبرغ إلى أن تلك البداية الأولى تمثل أهم موضوعات الانفجار العظيم، وبالتالي ربط بين تلك البداية وبين ما يسمى بقياس الحركة، ويرى أن الباحث في العلوم الفيزيائية، وكذلك الباحث في العلوم الفلكية انتهيا إلى أنه من خلال « الانفجار

([16]) فيليب.م. دوبر، ريتشارد.أ. مولر، الانفجارات الثلاثة العظمى، ت: فتح الله الشيخ و أحمد السماحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط:1، 2004م، ص14.

([17]) ستيفن وينبرغ، الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ت: محمد وائل الأتاسي، الدار المتحدة للطباعة والنشر، 1990م، ط:1، ص12.

([18]) ستيفن هوكينغ، تاريخ موجز للزمان: من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، ت: مصطفى فهمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2001م، ص20.

([19]) هويمارفون ديتفورن، تاريخ النشوء، ت: محمود كبيبو، دار الحوار للنشر، سوريا، ط:1، 1990م، ص33.

([20]) روبين كيرود، مشاهدات علمية: الكون، ت: عادل فوزي، طبعة بيروت، 2005م، ص15.

العظيم استطاع الفلكيون قياس حركة جسم مضيء في الاتجاه الذي نراه فيه، فهم يقيسونها بدقة أكبر كثيراً من دقة قياسهم لحركة الاتجاه العمودي»[21].

وبناءً عليه فإن الفلكيين حين كانوا يستخدمون لقياس حركة الجسم في الاتجاه المرئي اكتشفوا وجود التمدد الذي هو أثر من أثار الانفجار العظيم، وبذلك ربط الفلاسفة المحدثون والمعاصرون بين الانفجار العظيم كمرحلة أولى، وموضوعه، والأثر الذي ترتب عليه.

وهناك من يقرر أن هذا الموضوع المعد سلفاً للانفجار العظيم يؤكد استحالة أن يكون الكون ثابتاً، ثم علل ذلك بقوله «إن المعادلات النظرية تثبت الانفجار العظيم "big bang" وبالتالي يكون الكون ديناميكياً ومتحركاً ومتطوراً له بداية ونهاية»[22].

ثانياً: نشأة الكون:- ربط الفلاسفة المحدثين والمعاصرين بين نشأة الكون وفكرة الانتشار، على معنى أن المبدأ الفيزيائي يقرر أن كل فعل له رد فعل مساوٍ له في الكمية والمقدار، ويقررون أيضاً أن ظاهرة المط السطحي تبدأ من نقطة المنبع وتتمدد إلى نقطة المصب مع اتساع أكبر بكثير من نقطة المنبع. وبناءً عليه ذكروا أن هذه الحالة يمكن تسميتها "بالفردانية الكونية"، ويعتقد البعض أن الفردانية مصطلح في الفكر الفلسفي المعاصر يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية بالفعلية الفردية، أما مصطلح الفردانية في الوجود الكوني فيطلق على القول بأن الوجود الحقيقي هو للأفراد الجزئية وليس للكليات العامة[23]، بل يعتقد هؤلاء أن فكرة الفردانية المطروحة على مدار البحث في الفلسفة الحديثة قد تؤدي إلى معنى نقطة النهاية لجسم في حالة الانكماش الجانبي، ويستدلون عليه بأن العالم منذ الانفجار العظيم وهو أخذٌ في التوسع في الخارج وليس ينفجر نحو الداخل[24].

ومادام نشأة الكون من موضوعات الانفجار العظيم، نظراً لارتباطها به، فمن الصواب القول بأن الكون منفرد بكل ما فيه من نجوم وأقمار وكواكب تبهر العقول بنظامها وإبداعها، وبالتالي يكون رأي الفلاسفة قائمٌ فيما يشاهد من خلق وإبداع كوني راجع إلى حالة الفردانية الكونية لا إلى إله خالق عظيم. فالكون في رأيهم انفجر نحو الخارج وبالتالي ذهب كل جزء ناتج عن الانفجار إلى مكانٍ محدد، ومن هنا بدأت حالة الإبداع الكوني. أما إذا كان الانفجار نحو الداخل لم يكن هناك إبداع كوني ولا خلق كوني، فالفردانية الكونية هي سبب الخلق والإبداع وليس الله سبحانه وتعالى، كما كونها أحد موضوعات الانفجار العظيم، يقول كراوس « سواءٌ كلمنا أن الانفجار العظيم وقع أو لم يقع فهي مسألة علمية وليست دينية، وحتى لو وقع فمن الممكن أن يختار الشخص تفسيراً له بطرق مختلفة اعتماداً على دينه أو معتقداته الميتافيزيقية»[25].

أخلص مما سلف إلى أن ما يتعلق ببداية الكون هو أحد موضوعات الانفجار العظيم، وما يتعلق بنشأة الكون هو الآخر أحد موضوعات الانفجار العظيم، وإذا كان العلماء الذين بحثوا هذه المسألة قد وقعوا في خلاف كبير عند الحكم عليها ألا يعتبر ذلك أحد المشاهدات التي تفصلنا عن العالم القديم، ونؤكد في ذات الوقت أن الكون له إله ولا يصح أن يكون من غير إله.

المناقشة: تعتبر المناقشة من العمليات الذهنية الأرقى بالنسبة للفكر الفلسفي؛ لأن المناقش يستوعب أولاً ما كتب، ثم ينظر إليه بعينٍ تبحث عن وجوه الكمال فتزكيها، أو وجوه القصور فتقويها، فإذا انتهى من هذين الجانبين لجأ إلى النقد البناء الذي يعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، فمن يقرأ ذلك النقد يستشعر أن صاحبه كان موضوعياً في تناوله، فيستفيد الجميع منه، ومن ثم سأتناول الجوانب التالية:-

الجانب الأول/ وجوه الكمال:-

أ. من الواضح أن الآراء التي تناولت الانفجار العظيم من حيث البداية كانت آراء جديرة بالتقدير؛ لأنها عمل إنساني سعى أصحابه إلى تقديم وجهة نظرهم في مسألة غيبية يمكن الوقوف عليها إذا تقدمت أدوات البحث العلمي، وأمكن لها أن تبدي وجهة نظرها في مسألة علمية، يقول « من الضروري أن نحترم الآراء

([21]) ستيفن وينبرغ، مرجع سبق ذكره، ص20.
([22]) جلال عبد الفتاح، الكون ذلك المجهول، طبعة القاهرة، ط:3، 2012م، ص51.
([23]) حسن الكحلاني، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004م، ص23.
([24]) جيانت ف. نارليكار، أعاجيب الكون السبع، ت: داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، لبنان، 2004م، ص317.
([25]) لورانس كراوس، كون من لاشيء، ت: غادة الحلواني، منشورات دار الرمل، مصر، 2015م، ط:1، ص31.

التي بذلت في البحث عن الانفجار العظيم، وأن نقابلها بكل تقدير، لكن لا يصح أن ننظر إليها باعتبارها مقدسة، إذ المقدس لم يصل إليه العقل البشري حتى اليوم، وغن كان لها من تعليق فليكن من خلال الفيزيائيين والفلكيين، لأنهم أصحاب الغاية العظمى في المسألة، ولا نفكر بطبيعة الحال فيما انتهوا إليه، إنما يتركز تفكيرنا في تقييم ما وصلوا إليه»[26].

من المناسب القول بأن رأي تولورانس له أهمية كبرى، لأنه رجل فيزيائي، وأيضاً عمل شطراً من حياته بالفلك، فشهادته غير مجروحة وإنما هي مقبولة.

ب. هناك من يلقي باللوم على الفكر المخالف لنظرية الانفجار العظيم ويرون أن الذين تناولوا هذه النظرية بالبحث والدرس، على أي مستوى فلكي أو فيزيائي، أصابوا ولم يخطئوا، وفسروا بداية الكون تفسيراً يتفق مع معطيات العلم، ويجب أن ترفع لهم القبعة لأنهم خاضوا بحاراً لم يكن معهم مجاديف وإنما استعملوا ألواح خشب فقفزوا بها إلى عمق البحار.

ج. أما الذين يقررون أن الانفجار العظيم اتخذ منهجاً في الدراسة والتفكير والوصول إلى نتائج، فأظن أنهم قد أصابوا الهدف، لأنهم حركوا الفكر الفلكي والفيزيائي إلى مناطق غير مأهولة بالمباحث العلمية[27]، ومن ثم نُدين لهؤلاء بالفضل في البحث المعرفي، ونُدين للنظرية بأنها فتحت آفاقاً جديدة أمام البحث العلمي في نطاقه المعرفي.

الجانب الثاني/ استكمال القصور:ـ

من المناسب القول بأن الوصول إلى جوانب القصور يمثل مرحلة حاسمة في المناقشة، لأنه يضع الإطار الذي يمكن أن ينفذ منه الفيلسوف إلى عمق الفكرة، ومن ثم فسألتقط ما يلي:ـ

أ. ما ذهب إليه العالم الفيزيائي فوكر حيث يقرر أن نظرية الانفجار العظيم لتفسير بداية الكون تعتبر جزئية، لأنها خاضت في مسائل يصعب التوجه إليها، لكن عابها سرعة إصدار أحكام عامة ما كان لها أن تصدر، ولو أن القائمين عليها اتخذوا منهج التأني في إصدار النتائج لكان ذلك أبلغ في الوصول إلى نتائج صحيحة وتفادوا أخطاء كثيرة، ومن أبرز تلك الأخطاء أن العقل الإنساني لم يحط علماً بجوانب الماضي على وجه صحيح، وإنما كلها وجهات نظر قد يوافقها الصواب، واعتقد أن ما كتب بشأن النظرية يحتاج إلى الكثير من المراجعة وتطبيق الوقائع على قواعد علمية مقبولة[28].

لا يمكن القول بأن الرجل تجنى على النظرية، وإنما يمكن القول بأن النظرية لم تحقق له ما كان يرجوه كعالم فيزيائي جمع بين النظريات الفلكية والفيزيائية، ولست أغفل حق الرجل في الاعتراض على النظرية وإنما أرى أنه قدم نهجاً علمياً يجب النظر إليه بعين فاحصة.

ب. أما شيخوف فإنه يقرر نتائج فيها نوعٌ من الغموض، فلا هو كاشفٌ عن تأييده للنظرية أو مخالفٌ لها، فيقول:«لقد بحثت نظرية الانفجار العظيم على كافة الأنحاء، ثم بان لي أنها تفتقد كثيراً من الدقة، ودليلي أن الذين أيدوا النظرية ما لبثوا أن هاجموها متخذين ذرائع لا تغيب عن عقل فاحص، ولا أستطيع أن أقول أنهم ليسوا على حق حتى أكون مع النظرية، ولا أقول أنهم على حق حتى أكون ضد النظرية، بل أقول كلا الطرفين على حق»[29].

وفي تقديري أن شيخوف قد أمسك العصا من طرفيها، ولا يستطيع أن يستخدمها في قيادة الآخر، ولو أنه أمسكها من طرفٍ واحد لأستطاع التعبير عن وجهة نظره بشكل إيجابي.

لا يخفى أن هذه الجوانب من المناقشة اتسمت بالجوانب الشكلية وخلت من القواعد المعرفية، إذ لابد لمن يناقش النظرية أن يعالج الجزئيات التي يتبناها من خلال ذكر جزئيات النظرية.

الجانب الثالث/ النقد البناء:ـ

هي حركة واعية يقوم بها صاحب العقل الواعي بحيث يقدم وجهة نظر يمكن أن تنال الإعجاب من الباحثين، وسوف ألتقط من ذلك ما يلي:ـ

([26]) جيمس تولورانس، فضائل واعية في قضايا داعية، ت: عادل زكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص103 ـ 104.

([27]) جيمس.م. بروتو، الانفجار العظيم خطوة علمية نحو المستقبل، ت: فوزية حسن، طبعة بيروت، 1998م، ص39،38.

([28]) وليم جورج فوكر، الانفجار العظيم وأنا (دراسة في النظريات غير الناضجة)، ت: ناهد فوزي، طبعة كركوك، بغداد، 1998م، ص94 ـ 95.

([29]) جيمس.م.ب. شيخوف، السبيل إلى عالم مثالي: الانفجار العظيم نموذجاً، ت: هادية حسن سلطان، مطبعة الأسد، سوريا، 1998م، ص85 ـ 86.

أ. ما ذهب إليه روبين كيرود حيث قال « إن انعدام وجود دليل يقيني يؤدي إلى وجود حقيقة علمية له منطقة مهمة في الوقوف على حقيقة الانفجار العظيم، لأن الفلاسفة منذ القدم وضعوا تفسيرات عدة لبداية الكون ظهر فيها تناقض واضح وغريب»[30].

وإذا كان هذا النقد ظاهره يوحي بأنه يهدم النظرية، فإنه في الحقيقة نقد موضوعي قام على أساس علمي، وفي نفس الوقت كانت الوقائع التاريخية شاهدة بأنه ما من رأي بداية الكون إلا ووجد ما يخالفه، أما لماذا؟ فلأن بداية الكون معناها الخروج من العدم إلى الوجود، وهذا لا يثبت بالعلم التجريبي إذ يصعب التحقق منه؛ لأن كل تجربة لابد من تكرارها حتى تثبت صحتها، فإذا افتقدت جانب التكرار اعتبرت فاقدةً شواهدها الأساسية.

وبناءً عليه نجد بعض الفلاسفة المحدثين والمعاصرين يقولون أنه لا يوجد دليل علمي يقيني على الانفجار العظيم، وأكدوا أن على العلماء تقديم دليل يقيني بشأنه، ويقرر غرين أن العلماء يجب عليهم أن يقدموا إلى العالم قائمة تفصيلية بالتنبؤات التي تتحقق تجريبياً، وبالتأكيد لا يمكن لأية نظرية تصف عالمنا أن تستقر قبل أن تعرض تنبؤاتها إلى التحقق التجريبي[31]، ومن ثم فلا يمكن الاستدلال على صحة الانفجار العظيم لأنها غير خاضعة لتفصيلات مؤكدة حول حقيقتها وكيفيتها، ولا يخفى أن هذا النقد العلمي يمكن أن ينصب على أصول النظرية فينتهي بها إلى عدم القبول.

ب. أما كراوس فإنه يقدم رأيه في صورة قائمة على الفائدة المترتبة والآثار الناجمة، فيقول « إن الانفجار العظيم حدث مهم، لكنه لا يعبر عن طموح العلماء، وتبقى نقطة غامضة وهي عن أي شيء صدر الانفجار العظيم؟ وماذا ترتب عليه من بداية الكون؟ وهل هناك قوة دفعت بمواد الانفجار العظيم إلى الحدوث أم أنها مسألة مجهولة؟ وإذا كانت مجهولة فما موقف العلم منها؟ وإذا كانت معلومة فما هي؟»[32].

أحسب أننا تجاوزنا مرحلة المداعبات وبلغنا مرحلة الحقائق العلمية، وكل ما قيل حول تأييد النظرية يفتقد الدليل العلمي، والمعلوم أن فقدان الدليل العلمي يؤدي أيضاً إلى الشك في المترتب عليه.

أنتهي إلى القول بأن المناقشة قد استوفت بواجبها، لكن تبقى كلمة وهي أن كل الأحداث التي صاحبت الانفجار العظيم لم يكن أحدٌ حاضراً حينها، بحيث يقدم شهادة نستطيع قراءة مضمونها من غير أن يحدث اضطراب في النتائج أو اضطراب في الوسائل، وإذا كان لي من حدث عارض يمكنني الاعتماد عليه كباحث في الفلسفة الحديثة والمعاصرة فإنما هو شهادة أهلها، فيذكر ميشيو كاكو أنه لم يكن هناك أحدٌ على مقروبةٍ ليشهد الحدث، ذلك أن الكون بأسره كان موجوداً في بروتين واحد في ذلك الوقت[33].

وإذا كان كاكو قد أعلن تلك المسألة فلا يغيب عني قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾[34]، حيث يذكر لورانس كراوس أن جميع ما يتعلق بالانفجار العظيم وأدلته على وجه الإجمال إنما هو مجرد افتراضات لا تعدوا أن تكون احتمالات[35]، ونفس الفكرة يكررها روبين كيرود حيث يذكر أن كل ما يتعلق بالانفجار العظيم قد حدث على طريق الاحتمال لا على طريق اليقين[36].

أخلص مما سلف أن ما يتعلق ببداية الكون ليس له ما يدعمه، والله قضى في ذلك كله بقوله تعالى ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[37]، ومن أصدق من الله قيلا.

المبحث الثالث/ تاريخ الانفجار العظيم وطبيعته:-

يعتقد الفيزيائيون والفلكيون من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين أن تاريخ الانفجار العظيم لا يقف عند وقت بذاته، وإنما تجد الآراء متقابلة في المسألة بينهم وسألتقط منها ما يلي:-

---

([30]) روبين كيرود، مرجع سبق ذكره، ص13.
([31]) برايان غرين، الكون الأنيق، مرجع سبق ذكره، ص235.
([32]) لورانس كراوس، كون من لاشيء، مرجع سبق ذكره، ص35.
([33]) ميشيو كاكو، ما بعد انشتاين، ت:فايز فوق العادة، طبعة كركوك، 2001م، ص164.
([34]) سورة يوسف، الآية 26.
([35]) لورانس كراوس، مرجع سبق ذكره، ص37.
([36]) روبين كيرود، مرجع سبق ذكره، ص12.
([37]) سورة الكهف، الآية 51.

أولاً- العرض: ذهب أصحاب القول بتاريخ الانفجار العظيم إلى عدة فرضيات منها:

1. أصحاب القول بـــ12 مليار سنة، وهذا الرأي يقرر أن السبب في بداية الكون ونشأته يعود إلى انفجار ضخم يطلق عليه اسم (الانفجار العظيم)، وقد حدث بما يقرب بمدة 12 مليار سنة، ومازال الكون بسببه في اتساع مستمر[38].

والسؤال الآن ما هو المعتمد لديهم في تقرير ذات التاريخ؟ هل أدلت به الأفكار الفلكية أم القوانين الفيزيائية، ولم يكن أحدهما قد تم اكتشافه؟

2. أصحاب القول بـــ13.8 مليار سنة، وهؤلاء يذهبون إلى أن لحظة البداية للكون بدأت قبل 13.8 مليار سنة، ويعتقدون أن هناك مادة في الكون مركزة ومكدسة معاً في كتلة شديدة الكثافة من الذرات كمنجم هوائي مكدس يزيد حجمه عن حجم الشمس عدة مرات كأنه قنبلة تنتظر لحظة التفجير[39]، وهذا الرأي هو المعتمد لدى كثير من علماء الفلك والفيزيائيين، لكن تبقى مشكلة وهي أن هذا الرأي يعيد إلى الذاكرة الفرض القائل بوجود مادة في الكون مركزة ومكدسة معاً فإذا وجدت فكرة أخرى تناقضها أمكن القول أنهما تتفقان على طرفي نقيض[40].

لا يخفى أن ما ذهبوا إليه من هذا التحديد فيه شيءٌ من الخروج على اليقين، أما لماذا؟ فلما سأذكره تباعاً.

3. أصحاب القول بـــ14 مليار سنة، وهؤلاء يقررون أن بداية الانفجار حدثت من حوالي 14 مليار سنة، وكان الكون معروفاً بكل فضائه ومادته وطاقاته، ويشغل مساحة رأس الدبوس[41]، فإذا سلمنا بهذا الرأي تبين أنه اتجاه يقوم على أفكار مقتبسة لا يستطيع أصحابها الدفاع عنها، ومهما كانت المبررات فإن جهودهم تبقى مجرد تفسيرات قائمة على الاحتمال.

4. أصحاب القول بـــ20 مليار سنة، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن تاريخ بداية الكون هو 20 مليار سنة حسب المدة المميزة للتوسع الذي هو قانون ثابت هابل[42]، والمعروف أن السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء أو أي شكل من أشكال الإشعاع الكهرومغناطيسي في السنة الواحدة، وهي تعادل حوالي 10 تريليونات كيلو متر أو 6 تريليونات ميل[43]، فإذا أخذنا 15ك/م على الثانية لكل سنة ضوئية فإن الزمن الذي انقضى منذ بدأت المجرات في الحركة يجب أن يساوي ناتج قسمة مليون سنة ضوئية/15 كيلو متر في الثانية، أي عشرين مليار سنة[44]، ويقوم هذا الرأي على أن المدة التي يمكن تمييزها عن غيرها بالتوسع يجب أن تنتهي إلى مضي عشرين مليار سنة ضوئية.

5. أصحاب القول بـــ10 بلايين عام، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن تاريخ الانفجار حدث من عدة بلايين عام، وقالوا إنه بدأ الانفجار فجأة بشرارة من الإشعاعات، وما زالت المادة التي تناثرت بفعل الانفجار تسرع إلى الخارج في الفضاء؛ لكن في صورة غازات وإشعاعات ومجرات[45].

ليس يخفى أن تاريخ الانفجار على هذا النحو يكشف عن أخطاء فادحة، والفرق بين كل رقم منها والآخر ليس رقماً سهلاً وإنما هو فارق كبير جداً، والفلسفة لا تقبل المعلومات الغير دقيقة من حيث هي تفكير علمي رصين في الكون والحياة، وسوف أتناول تلك الجوانب بالمناقشة.

ثانياً- المناقشة: البادئ من عرض تاريخ الانفجار العظيم يؤكد أن الفلاسفة المحدثين والمعاصرين قد انفلت منهم جانب التركيز الذهني في بعض القضايا، وكان المطلوب أن يظهر ذلك التركيز، وسوف أناقش الآراء السالفة على الجملة فأذكر منها:-

1. الانفلات الزمني: ومعناه أن العبارات التي ذكروها وعولوا عليها بينها فوارق واضحة جداً، فمن قال 12 مليار سنة ومن قال 20 مليار سنة الفارق بينها عمر ثاني كبير جداً يساوي 8 مليارات سنة، وهذا الرقم

([38]) روبين كيرود، مرجع سبق ذكره، ص15.

([39]) جون فايفر، بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ت: محمد الشحات، طبعة مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1959م، ص16.

([40]) روبين كيرود، مرجع سبق ذكره، ص15.

([41]) نيل دجراس ديسون و دونلد جولد تميث، البدايات، ت: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الأولى، 1014م، ص17.

([42]) ثابت هابل عبارة عن جهد علمي قام به صاحبه ليقيس به عمر الكون من خلال السنوات الضوئية.

([43]) نيل دجراس ديسون و دونلد جولد تميث، البدايات، المرجع السابق، ص263.

([44]) ستيفن وينبرغ، مرجع سبق ذكره، ص40 – 41.

([45]) جون فايفر، مرجع سبق ذكره، ص16.

كبير إلى أبعد ما يمكن، فلو كان الفارق سنة مثلاً أو سنتين لأمكن التغاضي عنها، أما أن يكون بالمليارات فهذا غير مقبول في الدراسات العلمية والفلسفية؛ بل إن هذا التناقض يفيد الطعن لتلك المدة[46].

لاشك أن عملية الانفلات الزماني بين الأرقام المذكورة حول عمر الكون تؤكد أن الفلاسفة لم يكن لديهم دليل يقيني وإنما هو افتراضات لا ترقى إلى درجة الاحتمال العلمي.

2. فساد التاريخ الاحتمالي: ومعناه أن كل ما ذكر حول تاريخ عمر الكون يكشف الفارق الزماني الهائل، وهذا في حد ذاته يجعل الباحث يتشكك في الرأي، لأن الاحتمال الوارد فيه أكثر من اليقين الذي يجب أن يحميه، يقول جيانت ف. نارليكار «إن البداية الزمنية للانفجار العظيم قد بلغت حالة الكون فيه حداً من الغرابة جعلتها ممتنعة عن الوصف الفيزيائي[47]، وقد يمكن للمرء أن يقرر بداية الساعة الكونية بعد أن جاء هذا الحدث الابتدائي في الكون إلى الوجود»[48].

لكن السؤال الذي طرحه نارليكار هو ما يتعلق بالساعة الكونية فما هي طبيعتها؟ وذلك الأمر يخوض فيه أصحابه ولا ينتهي خوضهم إلى نتيجة مقبولة.

3. شهادة الساعة الكونية: يذهب الفلاسفة المحدثون والمعاصرون إلى أن الساعة الكونية هي التي تعتمد على نظام 24 ساعة بدلاً من 12 ساعة، كما أن عقارب هذه الساعة تتحرك من اليمين إلى اليسار عكس الساعة العادية، بمعنى أنها تتحرك في الاتجاه الصحيح، أي تواكب حركة جميع الظواهر الطبيعية، ومن المؤكد أن تلك سنة الله في خلقه، فالكواكب كلها تتحرك من الشرق إلى الغرب، وعقارب الساعة يجب أن تتبع حركة الشمس، وأكثر من ذلك، فلو عدنا إلى الدورة الدموية في جسم الإنسان نجدها تتحرك في هذا الاتجاه[49].

فإذا أضفنا إلى ما سبق ما يمكن اعتباره فصلاً خاصاً بالمناقشة نكون قد قاربنا على الانتهاء من المناقشة علة ناحيةٍ صحيحة.

4. اضطراب النتائج: ومعناه أن الفلسفة الحديثة والمعاصرة في دعواها تقدير عمر الكون واعتمادها أفكاراً لا ترقى إلى اليقين، إنما ترفض متابعة الزمن المنقضي منذ الانفجار العظيم إلى وجود الساعة الكونية والمسافة بينهما مجهولة.

أخلص مما سلف إلى أن تاريخ الانفجار العظيم حسب ما ذكر الفيزيائيون والفلكيون يخرج من الأدلة اليقينية إلى المشكلات الاحتمالية، فهناك تناقض كبير بينهم في تفسير الانفجار العظيم، وبدايته، وكيفيته، وكذلك تناقضهم في وصف المادة الأساسية التي من خلالها بدأ الانفجار الكوني العظيم، فهذا التناقض لا نستطيع أن نؤكد من خلاله على صدق أي تفسير منهما؛ لأن كل التفسيرات قائمة على الاحتمال، والقاعدة العقلية المنطقية تؤكد أن كل ما تطرق عليه الاحتمال يسقط به الاستدلال، وبناءاً عليه يبقى الأمر القائم وهو أن نشأة الكون وبدايته محكوم بعلم الله تعالى القائل: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[50].

الخاتمة: تدور خاتمة هذا البحث فيما اعتاده الدارسون ووضع أساسه المتقدمون من العلماء بحيث تشمل جوانب أساسية ثلاثية الأبعاد:ـ

الجانب الأول: أهم النتائج:ـ

1. أن ما يتعلق بالانفجار العظيم من حيث التعريف والموضوعات والتاريخ قد جاء عرضاً في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وكانت غاية القائمين عليه والقائلين به إثبات أن العقل يستطيع أن يقدم بديلاً عن الإله، ولذا اعتبروا الانفجار العظيم هو سبب بداية الكون على رأي من يقول به، وهو في ذات الوقت سبب تمدد الكون، وإذا كان مفهوم الانفجار العظيم لم يتفقوا على تحديده فهل يصح أن يكون بديلاً عن الإله؟.

([46]) ستيفن وينبرغ، المرجع السابق، ص41.

([47]) إعلان نارليكار أن الغرابة في كون حالة الكون ممتنعة عن الوصف الفيزيائي، وتفيد سقوط التاريخ من أوله، بل تهدم الأفكار التي دارت حوله، فتكون تلك الشهادة احد الأدلة الجديدة على بطلان الاحتمالات المتعلقة بالزمان الذي احتوى الانفجار العظيم.

([48]) جيانت ف. نارليكار، مرجع سبق ذكره، ص317.

([49]) مراد الطرابلسي، ساعة كونية توحد العالم وتعيد النظر في التقسيم الزماني، جريدة البيان، 17 مايو، 2001م

([50]) سورة الكهف، الآية 51.

2. من المؤكد أن جميع الوسائط بالنسبة لله تعالى منقطعة، والأسباب غير موجودة ولا تستقيم على حال، أما إعادة الأمور كلها إلى الله تعالى من حيث المبدأ والمنتهى فهو المعول عليه، والآيات القرآنية في ذلك واضحة الدلالة، بل إن المفكرين الذين يُعتد بفكرهم أقروا بهذه البديهية.
3. أن الحديث عن مفهوم الانفجار العظيم في الفلسفة المادية بقسميها(الفيزياء والفلك) قدمت معتركاً علمياً يتعلق بالمفهوم، مما حدا بالمخالفين إلى إنكار هذا المفهوم، والقاعدة العلمية تقول إن الأمر المتداول إذا لم يقع له تعريف محدد لا يمكن الارتكاز إليه.
4. أن الفلسفة الاسمية التي جعلت الأسماء ذات دلالة على موضوعاتها يخفق أصحابها القول بالانفجار العظيم في بداية الكون ونشأته ليقدموا أنفسهم باعتبارهم أصحاب مفاهيم مقبولة، لأن اللفظ إذا لم تكن له دلالة استعمالية صحيحة يكون لفظاً مهملاً لدى الفلاسفة جميعاً، وقد تبنت الوضعية المنطقية بيان ذلك مؤكدةً أن الجمل والألفاظ التي لا يمكن التطبيق عليها والتجريب تعتبر خواء لا قيمة لها، فإذا وضع مقياس الفلسفة الاسمية والوضعية المنطقية، وعرضنا عليهما الانفجار العظيم رفضاه من أوله؛ لأنه لا يمكن التجريب عليه؛ ولأنه لا يقدم فائدة يقينية أو احتمالية راجحة.
5. أن ما يتعلق بموضوع الانفجار العظيم لم ينل القبول الكامل من مخالفيه، سواء أكان متعلقاً ببداية الكون أم تمدده بعد بدايته، ولذا فالآراء المطروحة حول الموضوع لا تستقيم من ناحية القبول، وهذا مما أضعف الفلسفة الحديثة والمعاصرة عند تبنيها للانفجار العظيم فلكياً أو فيزيائياً.
6. أن ما يتعلق بتاريخ الانفجار العظيم برزت فيه تساؤلات لم تتمكن الفلسفة الحديثة أو المعاصرة من تقديم إجابات محددة، مما حدا بمخالفيهم بالنيل منهم، وخصم ذلك من أرصدتهم الفكرية؛ لأن العقلاء جميعاً يعرفون أن استثمار العقل فيما يصلح لهم هو الغاية العظمى، فإذا انتهينا من ذلك تبين أن ما دعت إليه الفلسفة الحديثة والمعاصرة بشأن تاريخ الانفجار العظيم يعيد المسألة إلى البداية، وكأن العلم لا يتقدم بل يتقهقر، وإذا كان العلم لا يتقدم فمن المؤكد أن ذلك يعكس الرغبة في تخطي الفلسفة الحديثة والمعاصرة واللجوء إلى فلسفات أخرى يكون لها الحق في البقاء، فيُنتزع من الفلسفة مكاناً كان الأولى بها أن تحافظ عليه.

الجانب الثاني: أهم التوصيات:-

1. ضرورة التعامل مع الفلسفات بعقلٍ واعٍ، وعدم التخوف من الخوض فيها؛ لأن العرض الذي تبدله والنتائج التي تعتمد عليها ما هي إلا أفكار بشرية صوابها أكثر من خطأها، وبناءاً عليه تكون معرفة الحقيقة بالرجوع إلى أصولها.
2. أن الأفكار التي تبنتها الفلسفة الحديثة ليست مقدسة، وإنما هي واقعة بين الصواب والخطأ، وليس من شأنها التطرق إلى معتقدات الناس في الله رب العالمين، وإنما يجب أن تبقى تلك المعتقدات متعالية عن النيل منها، فإذا تعرضت الفلسفة إلى المعتقدات الدينية فقد وجب ردها إلى الصول العامة.
3. أن كثيراً من الأعلام التي حفلت بها الفلسفة الحديثة والمعاصرة ثبت أنهم كانوا من المرضى النفسانيين كما هو الحال مع نيتشه، ومع هذا هم يقدسونهم ويُتناول لهم بكل احترام وتقدير حتى كأنهم من القدسيين، وأفكارهم يجب حفظها، وانفلاتاتهم لابد من تقديمها، وتلك آفة المجتمع الشرقي مع المجتمع الغربي.

الجانب الثالث: أهم المقترحات:-

1. الانفجار العظيم حقيقة أم خيال.
2. التمدد الكوني بين الدين والفلسفة (دراسة مقارنة).
3. الأكوان المتعددة (دراسة ابستمولوجية).
4. نظرية المط السطحي بين الفيزياء والميكروفيزياء (دراسة تحليلية).
5. فكرة الوجود المختزن بين الدين والفلسفة.
6. خطر الفكر الحداثي على عقيدة النبوة (جورج طرابيشي نموذجاً).

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. باتريك هيلي، صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، ت: نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط:1، 2008م.
3. برايان غرين، الكون الأنيق: البحث عن النظرية النهائية، ت: فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط:1، 2005م.
4. بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، ت: جورج كتوره، المكتبة الشرقية، 1991م.
5. جلال عبد الفتاح، الكون ذلك المجهول، طبعة القاهرة، ط:3، 2012م.
6. جوتفريد فيلهم ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، ت: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1983م.
7. جورج شتراوس، مناهج التفكير العلمي: النظرية والتطبيق، ت: فوزية حسن الطويل، طبعة بيروت.
8. جون فايفر، بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ت: محمد الشحات، طبعة مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1959م.
9. جيانت ف. نارليكار، أعاجيب الكون السبع، ت: داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، لبنان، 2004م.
10. جيمس تولورانس، فضائل واعية في قضايا داعية، ت: عادل زكي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
11. جيمس جنز، الفيزياء والفلسفة، ت: جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
12. جيمس.م. بروتو، الانفجار العظيم خطوة علمية نحو المستقبل، ت: فوزية حسن، طبعة بيروت، 1998م.
13. جيمس.م.ب. شيخوف، السبيل إلى عالم مثالي: الانفجار العظيم نموذجاً، ت: هادية حسن سلطان، مطبعة الأسد، سوريا، 1998م.
14. حسن الكحلاني، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004م.
15. روبين كيرود، مشاهدات علمية: الكون، ت: عادل فوزي، طبعة بيروت، 2005م.
16. زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1998م.
17. ستيفن هوكينغ، تاريخ موجز للزمان: من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، ت: مصطفى فهمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2001م.
18. ستيفن وينبرغ، الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ت: محمد وائل الأتاسي، الدار المتحدة للطباعة والنشر، ط:1، 1990م.
19. عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، دار الطباعة القومية، القاهرة، 1966م.
20. فيليب.م. دوبر، ريتشارد.أ. مولر، الانفجارات الثلاثة العظمى، ت: فتح الله الشيخ وأحمد السماحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط:1، 2004م.
21. كليف كيلمستر، طبيعة الكون، ت: محمد بشار حكمت، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1991م.
22. لورانس كراوس، كون من لاشيء، ت: غادة الحلواني، منشورات دار الرمل، مصر، ط:1، 2015م.
23. محمد الغزالي، موقف الفلسفة المادية الحديثة من بداية الكون، طبعة القاهرة، 1995م.
24. ميشيو كاكو، ما بعد انشتاين، ت: فايز فوق العادة، طبعة كركوك، 2001م.
25. نيل دجراس ديسون و دونلد جولد تميث، البدايات، ت: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، القاهرة، ط:1، 1014م.
26. هويمارفون ديتفورن، تاريخ النشوء، ت: محمود كبيبو، دار الحوار للنشر، سوريا، ط:1، 1990م.
27. وليم بارتلي، الفلسفة المعاصرة أصول وأدوات، ت: ناهد فوزي، طبعة بيروت، 1995م.
28. وليم جورج فوكر، الانفجار العظيم وأنا (دراسة في النظريات غير الناضجة)، ت: ناهد فوزي، طبعة كركوك، بغداد، 1998م.
29. وليم شانر، الطريق إلى التفكير المنطقي، ت: عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م.

المجلات والدوريات:

30. مراد الطرابلسي، ساعة كونية توحد العالم وتعيد النظر في التقسيم الزماني، جريدة البيان، مايو، 2001م.